

حركة المقاومة الإسلامية

حماس

دراسات في

الفكر والتجربة

تحرير

د. محسن محمد صالح

المشاركون

أ. د. أحمد سعيد نوفل	أ. أسامة حمدان	أ. إسماعيل هنية
د. إشتياق حسين	أ. بلال الشوبكي	د. حافظ الكرمي
أ. خالد مشعل	د. رائد نعيرات	أ. سامي خاطر
أ. سميح حمودة	أ. د. طلال عتريسي	د. عدنان أبو عامر
د. محسن محمد صالح	أ. د. مصطفى أبو صوي	د. موسى أبو مرزوق
أ. يوسف أبو السعود	أ. د. يوسف رزقة	



الفصل الخامس

موقف حماس من الحركات الإسلامية الفلسطينية

أ. سميح حمّودة

موقف حماس من الحركات الإسلامية الفلسطينية

مقدمة:

تهدف هذه الورقة إلى تحليل العلاقة بين حركة حماس والحركات الإسلامية الفاعلة سياسياً ودينياً على الساحة الفلسطينية: حزب التحرير، والسلفيون، والصوفيون، وحركة الجهاد الإسلامي، وتركز الورقة خصوصاً على العلاقة بين حماس والجهاد الإسلامي منذ ثمانينيات القرن المنصرم؛ وذلك لكون الحركتين هما الأكثر تفاعلاً وانشغالاً وانخراطاً بالقضية الفلسطينية من الحركات الإسلامية الأخرى، وهما الأكثر تأثيراً وامتداداً بين الجماهير الفلسطينية.

يستند التحليل إلى مجالين اثنين، الأول: توضيح التغيرات التي شهدتها الساحتان العربية والدولية في عقد الثمانينيات، وأدت إلى تطورات مهمّة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، كان من نتائجها صعود الحركات الإسلامية شعبياً، وازدياد قوتها وتأثيرها على مجريات الصراع مع "إسرائيل"، ونتج عنها في المقابل ضمور وانحسار قوة حركات أخرى وطنية ويسارية على الساحة الفلسطينية. أما المجال الثاني: فهو تحليل الفكر السياسي للحركات الإسلامية الفلسطينية، باتجاهاته المختلفة وتطوراته الناجمة عن العوامل الذاتية والعربية والدولية. فالورقة لا تنهج نهجاً سردياً ينتبع القضية من الزاوية التاريخية فقط، بل تسعى إلى كشف جذور العلاقة بين الحركات الإسلامية الفلسطينية، بناء على التباين الفكري فيما بينها والذي نجم عن اختلاف تفاعلها مع الأحداث والتطورات العربية والدولية.

ينبغي الإشارة إلى مشكلة منهجية تواجه الباحث في مواقف حركة حماس من الحركات الإسلامية الأخرى في فلسطين، وتتمثل أولاً: في أن حركة حماس لم تبلور منهجاً أو فكراً

نظرياً سياسياً محدداً وواضحاً منذ بداية نشوئها¹، بل أخذ فكرها وخطابها السياسي حول فلسطين يتبلوران ويتشكلان بصورة أساسية بعد انطلاقتها أواخر سنة 1987. ولا يعني هذا بأيّ حال أن حماس كانت حين تأسيسها تفتقر لخلفية نظرية، وأنها كانت خالية من أيّ طرح فكري منهجي؛ فهي باعتبارها امتداداً لجماعة الإخوان المسلمين استندت في بلورتها لقواعدها النظرية العامة ولفكرها السياسي لأدبيات جماعة الإخوان المسلمين، واستمدت خطابها من الخطاب السياسي والفكري الذي كان يطرحه الإخوان المسلمون الفلسطينيون في أنشطتهم الجامعية والنقابية. كما استفادت الحركة ممّا تمّ تعقيده في المؤتمر التأسيسي (السري) الذي عقد في تشرين الأول/أكتوبر 1983، أو عند تشكيل جهاز فلسطين سنة 1985. ولا تتناقض هذه الرؤية مع القول إن فكر حماس السياسي قد تبلور ونضج مع مرور الزمن كما يحدث مع باقي الحركات الأخرى، وعبر نشاطها وعملها خلال صراعها مع العدو الإسرائيلي خلال الانتفاضة، وعقب توقيع اتفاقات أوسلو وقيام السلطة الوطنية الفلسطينية على أراضي قطاع غزة وأجزاء من الضفة الغربية، وتبلور فكرها أيضاً نتيجة لعلاقتها مع الحركات الوطنية والإسلامية الأخرى، مثل حركة فتح وحركة الجهاد الإسلامي.

والمؤكد لأيّ باحث في نشوء وتطور حماس، أن فكرها السياسي قد استجاب في الغالب لما طرحته هذه الحركات من أسئلة وتحديات أمامها، وهو أمر يمكن لنا وضعه في إطار أن حركة حماس هي حركة سياسية تشتبك مع المتغيرات التي تحيط بها، فهي متحركة وذات فكر يتفاعل مع حركة الحياة وتطورها، وتتأثر بالبيئة المحيطة بها كما تؤثر فيها². فالباحث مطالب هنا بالتتبع الدقيق لمسار الحركة الفكري، وتجنب الانزلاق

¹ كان الشيخ أحمد ياسين، يقول: "أنا كرسيت حياتي للعمل وليس للكتابة، وحياتي كلها كانت تطبيقاً لما أقرأ ولما أتعلم". راجع كتاب محمد الياقوبي، الشيخ الشهيد أحمد ياسين عظمة العطاء وروعة الشهادة (القدس: دار الإباء للنشر والتوزيع، 2004)؛ وعامر شماخ، أحمد ياسين شهيد أيقظ أمة (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2004) ص 96؛ وقد لاحظ جواد الحمد وإياد البرغوثي، محررا كتاب دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية: حماس، ص 13-14، أنه "ليس لقيادي حماس إسهام مميز في الكتابة والتنظير في فهم الحركة وفلسفتها على شكل دراسات وكراسات منشورة، لذا فإن الحركة لم تتناول في أدبياتها (على الأقل حتى تاريخ نشر الكتاب سنة 1996) لبعض مفردات الصراع الفكرية، مثل مسألة الصهيونية واليهودية، ومسألة التفاوض مع إسرائيل، وتصورات الحركة لحل سياسي مرحلي أو شامل".

² باسم الزبيدي، حماس والحكم: دخول النظام أم التمرد عليه (رام الله: المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، 2010)، ص 9.



نحو التعميمات الفجّة والتوصيفات الدعائية، سلباً أم إيجاباً، والخالية من الدقة العلمية والبحث الموضوعي.

أما المشكلة المنهجية الثانية فتتمثل في أن مواقف قيادات ورموز الحركة لم تكن دائماً متطابقة ومتشابهة، بل كان هناك تباينات واختلافات واضحة. والباحث في فكر حركة حماس سيعثر بالتأكيد على مواطن من التناقض في الخطاب، ومن عدم الوضوح في الرؤية والطرح، وسيجد تباينات في رواية الأحداث المتعلقة بالحركة من قبل قادتها ومؤسسيها؛ لذا فإنّ المنهج السليم في تحليل مواقف حماس وقادتها يجب أن يأخذ بعين الاعتبار تأثيرات عامل الظرف الزمني والمكاني، وتأثيرات العامل الذاتي المتعلق بهؤلاء القادة، وهي عوامل فرضت آراء مختلفة حول وقائع هي بذاتها متغيرة، وحول أحداث سياسية مختلفة متلاحقة ومركبة في مضامينها وخلفياتها.

أولاً: التغييرات العربية والدولية وأثرها على صعود الحركات الإسلامية في فلسطين:

لقد أحدثت تغييرات دولية عربية وإسلامية وغربية تأثيراً كبيراً على القضية الفلسطينية وتسببت بصعود قوة التيار الإسلامي مقابل أقول قوة اليسار الفلسطيني، وتراجع قوة حركة فتح. ولعلّ من أبرز هذه التغييرات على مستوى الصراع العربي الإسرائيلي حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973، والتي أثبتت للعرب أن سقف الانتصار على "إسرائيل" محدود، وأن القوى الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ستقف قلباً وقالباً مع "إسرائيل" في حروبها مع العرب، وأنها لن تسمح للعرب بإلحاق هزيمة ساحقة بـ"إسرائيل" مهما كلف الأمر.

لذا فقد وجدت النخبة السياسية العربية الحاكمة نفسها أمام حتمية البحث عن تسوية سياسية مع "إسرائيل" تعيد جزءاً من الحقوق العربية، وتوقف سياسة التوسع الإسرائيلية، وقد كانت اتفاقات كامب ديفيد Camp David Accords بين مصر و"إسرائيل" أولى نتائج هذا التفكير. كما كانت هذه المرحلة بداية توجّه عرفات وقيادة فتح، المتحكمة بمنظمة التحرير، نحو العمل السياسي ودمجه بالعمل العسكري،

بعد أن كان التركيز الأساسي قبل ذلك على العمل الفدائي واعتباره الأساس في تحقيق الأهداف الوطنية الفلسطينية، وليس من المستغرب أن يأتي تبني فكرة الحل المرحلي، التي طرحها الأمين العام للجبهة الديمقراطية، نايف حواتمة، في النقاط العشر وتبنتها فتح والمنظمة، بعد حرب تشرين الأول/أكتوبر مباشرة سنة 1974.

تبع هذا التغيير حصول تفاهم بين القطبين الأعظمين في العالم، الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، على حلّ مشاكلهما بالطرق السلمية والحوار، ودخولهما في مرحلة الوفاق، والتي أدت إلى تبني الاتحاد السوفييتي سياسة الضغط على العرب، وعلى منظمة التحرير الفلسطينية خصوصاً، من أجل القبول بحل سياسي يركز على قرارات الأمم المتحدة، وبالأخص قراري 242 و338. ونتيجة لمتغيرات وأحداث كبيرة أخرى عديدة، كان من أبرزها الاجتياح الإسرائيلي للبنان سنة 1982، وإجبار المنظمة على الخروج من أراضيها، وتوزيع قواتها المقاتلة في دول عربية بعيدة عن الحدود المتاخمة لفلسطين المحتلة.

فقد رضخت منظمة التحرير لهذا الضغط وأخذت تتبنى بشكل أساسي برامج ومشاريع سياسية تقبل بحل الدولتين، وبتسوية سياسية مع "إسرائيل"، وقامت مقابل ذلك بتهميش الكفاح المسلح ووقفه عملياً.

بالنتيجة، أدّى هذا الموقف إلى تلم شرعية منظمة التحرير، وهي الشرعية التي استمدت أصلاً من برنامجها المستند لتحرير كل فلسطين من خلال الكفاح المسلح، وأدى هذا بالتالي إلى تراجع شعبية المنظمة، وحدث انشقاق كبير في حركة فتح، وتدهور العلاقة بين فتح والنظام السوري، الذي أخذ يدعم المنظمات الفلسطينية المناهضة للقيادة الفتاوية، وبالأخص ياسر عرفات ورفاقه المقربين منه، ويوجه ضربات القوية لها، مما تسبب في توهين قوتها.

واكب هذه التغيرات قيام الثورة الإسلامية في إيران بقيادة روح الله بن مصطفى الخميني Ayatollah Khomeini وانتصارها سنة 1979، مما ولد انبعاثاً إسلامياً عظيماً في المنطقة، وصحوة دينية، امتدت في كافة أقطار العالم العربي والإسلامي، وقوى بالتالي الحركات الإسلامية التي أخذت تنادي بالعودة إلى الإسلام وتطبيق أحكامه، وإلى مواجهة التحدي الغربي والوجود الصهيوني ثقافياً، واقتصادياً، وسياسياً، وعسكرياً، وفكرياً.



ونتيجة للاهتمام الشديد الذي أولاه الخميني للقضية الفلسطينية، ومناداته بتحرير القدس، ودعوته لإنشاء جيش إسلامي لهذا الغرض، فقد اندمجت الحركات الإسلامية الموجودة على الساحة، وتلك التي أخذت بالظهور حديثاً، في هذا السياق، وأخذت تنادي أيضاً بضرورة العمل على تحرير كافة الأراضي الفلسطينية، وإنهاء الدولة الصهيونية. وقد أخذت هذه الحركات تستقطب الفلسطينيين، من الذين تركوا اليسار، وفقدوا الأمل بالاتحاد السوفييتي، ومن الذين أصبحت لديهم شكوك في جدوى الحل السياسي، الذي تبنته قيادة فتح والمنظمة.

وأخيراً، وحين بدأت في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن العشرين عملية انهيار المنظومة الاشتراكية وتفككها، وتفكك الاتحاد السوفييتي، وانشطاره إلى دول متعددة، وانحدار قوة روسيا الاقتصادية والسياسية، ورضوخها للشروط الغربية من أجل الحصول على معونات اقتصادية، فقد تلاشى الدعم المادي والسياسي الذي كان يقدمه المعسكر الاشتراكي للفلسطينيين، وضعفت معه بالتالي قوى اليسار الفلسطيني، التي كانت تعتمد مالياً وسياسياً وفكرياً على دول المنظومة الاشتراكية؛ كما وجدت المنظمة نفسها في الساحة الدولية وحيدة أمام أمريكا وسائر القوى الغربية المنحازة لـ"إسرائيل".

وحين وافقت المنظمة على الدخول في مسيرة التسوية السلمية مع "إسرائيل" في ظل هذه الظروف، فقد كانت تضع نفسها وشعبها تحت رحمة أعدائها الإسرائيليين والأمريكيين وحلفاء "إسرائيل" الغربيين. لقد أدّى هذا الموقف إلى تبني المنظمة لسياسات دمّرت ما تبقى لها من شرعية، مثل الالتزام بأمن "إسرائيل" وما يستتبعه من التنسيق الأمني؛ مما وضع قادة فتح ورجالات السلطة في صفّ مناهض لشعبهم ومناضليه.

باختصار شديد، فقد أدت حركة النهوض الإسلامي التي تزامنت مع التراجع في البرنامج الوطني الفلسطيني إلى نشوء حركتي الجهاد الإسلامي (بدأت بالظهور العلني قرابة سنة 1981) وحماس (انطلقت أواخر سنة 1987) وصعودهما، وإلى عودة حزب التحرير للنشاط في الأراضي الفلسطينية، وأدت أيضاً إلى نمو الحركات السلفية وانتشارها.

ثانياً: أسس موقف حماس من الحركات الإسلامية:

من الناحية النظرية، وكما تطرح حماس في خطابها وإعلامها، فإنّ الحركة لا تجد حرجاً في وجود جماعات إسلامية أخرى على الساحة الفلسطينية، وقد أفرد ميثاق الحركة بنداً خاصاً تحت عنوان "الحركات الإسلامية"، يبين موقف حماس من الحركات الإسلامية بصورة عامة³:

تنظر حركة المقاومة الإسلامية إلى الحركات الإسلامية الأخرى نظرة احترام وتقدير، فهي إن اختلفت معها في جانب أو تصور، اتفقت معها في جوانب وتصورات، وتنتظر إلى تلك الحركات، إن توافرت النوايا السليمة والإخلاص لله، بأنها تندرج في باب الاجتهاد، مادامت تصرفاتها في حدود الدائرة الإسلامية، ولكل مجتهد نصيب⁴.

ويشير خالد الحروب، مدير التحرير السابق لمجلة فلسطين المسلمة التي تعبر عن فكر حماس، إلى أنّ:

الإسلاميين بكافة توجهاتهم في فلسطين يتفقون على أنّ مشروع التحرير هو مشروع أمة وليس مشروع تنظيمات ابتداءً، وإذا كان الواجب الشرعي والعملية يستوجب استنهاض عزائم ومقدرات الأمة كلها تجاه هذا المشروع، فمن باب (أوجب الواجب) أن يتم توحيد الجهد الجهادي الإسلامي في فلسطين، إن لم يكن بالوحدة التنظيمية فلا أقل من وحدة الممارسة⁵.

ولكن، هل يمكن اعتبار هذا الطرح نهاية المطاف حول سؤال العلاقة بين حماس وسائر الإسلاميين؟ وإذا كان ينبغي أن ترجع مسألة العلاقة بين حماس والحركات الإسلامية الأخرى إلى المرجعية العقائدية - الدينية الواحدة، فلماذا يستمر الانفصال بين هذه الحركات؟

³ يعتقد رجب البابا في رسالته للماجستير التي أقرت في الجامعة الإسلامية بغزة بإشراف أحمد محمد الساعاتي أنّ هذا البند يتعلق بحركة الجهاد الإسلامي (رجب حسن العوضي البابا، جهود حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في الانتفاضة الفلسطينية 1987-1994، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، 2010، ص 230). ولربما يكون هذا الاستنتاج صحيحاً كون الحركة لم تشتبك وتتفاعل خلال مرحلة صدور الميثاق إلا مع حركة الجهاد الإسلامي.

⁴ انظر: ميثاق حماس، المادة 23.

⁵ خالد الحروب، الإسلاميون في فلسطين: قراءات ومواقف وقضايا أخرى (عمّان: دار البشير، 1994).

من المؤكد أنّ صورة العلاقة بين الحركات الإسلامية أكثر تعقيداً وتركيباً مما يأمل الكثيرون، وخصوصاً أنصار التيار الإسلامي الذين يحبّون رؤية هذه الحركات وقد أصبحت حركة واحدة. وهي أيضاً أعقد ممّا يظن العديدون، وخصوصاً خصومها، الذين يميلون غالباً إلى وضع الحركات الإسلامية في سلّة واحدة، والحكم عليها بحكم واحد، لمجرد اعتمادها لمرجعية فكرية واحدة، وبسبب تشابه أطروحاتها الأيديولوجية، وبالتالي يسارع هؤلاء إلى رفضها جميعها⁶.

فالحركات الإسلامية تختلف في الطرح السياسي اختلافاً عميقاً وواسعاً، ولا يمكن اختزال هذا الاختلاف أو إهماله؛ كونه يعكس نشوء وتطور حركات اجتماعية - سياسية مختلفة، وإن كانت تستند للفكر والموروث الثقافي الإسلامي، في ظلّ مناخات وخلفيات محلية وإقليمية ودولية متعددة ومتباينة، وتحت قيادة قوى ونخب اجتماعية تستند لخلفيات فكرية واقتصادية، وجذور وانتماءات اجتماعية متنوعة ومتنافسة.

ولا يمكن للمرجعية الفكرية الواحدة أن تلغي هذه التباينات، فاختلف وتباين هذه الحركات أمر طبيعي وينسجم مع حقائق الاجتماع البشري.

يمكن لنا أن نقوم بتحليل ودراسة مواقف حماس من الحركات الإسلامية الفلسطينية، على وجه العموم، بناء على فهم المنظومة الفكرية لجماعة الإخوان المسلمين، التي شكلت وأسست حركة حماس، وخصوصاً ذلك الجزء المتعلق بالعمل الإسلامي وبالقضية الفلسطينية، وأيضاً بناء على تطور حركة حماس ذاتها.

وهناك عنصران في المنظومة الفكرية لجماعة الإخوان، لهما الدور الأهم في تحديد مواقف حماس من الإسلاميين الآخرين: العنصر الأول يتعلق بموقف الإخوان من التعددية السياسية في المجتمع عموماً، وبين المسلمين وحركاتهم على وجه الخصوص، ويرتبط هذا العنصر وينتقد بنظرة جماعة الإخوان لنفسها ولدورها على الساحة الإسلامية، بينما يتعلق العنصر الثاني بموقف الجماعة من القضية الفلسطينية، واعتقادها أنها الأقدر على تحرير فلسطين.

⁶ مثال ذلك: اتفاق الإسلاميين على أن الإسلام هو المرجعية الفكرية لمشروع التحرير، وأن هذا المشروع هو مشروع الأمة الإسلامية وليس الفلسطينيين وحسب، وأنه لا يجوز التنازل لليهود الصهاينة عن أيّ مساحة من الأرض الفلسطينية.

بخصوص العنصر الأول، فمن الناحية النظرية، وكما يشير عدد من الدارسين، ومنهم الإخواني المصري توفيق الواعي، فإن حركة الإخوان تجيز التعددية الحزبية في الدولة الإسلامية، ”بمعنى تعدد الأفكار والمنهاج والسياسات التي يطرحها كل فريق، مؤيدة بالحجج والأسانيد، فيناصرها من يؤمن بها، ولا يرى الإصلاح إلا من خلالها، وتعدد الأحزاب في مجال السياسة أشبه شيء بتعدد المذاهب في مجال الفقه“⁷.

وبحسب خالد الحروب، فإن حماس ترجع في فهمها لمسألة التعددية إلى أصل عقدي وشرعي إسلامي، حيث أقرّ القرآن الكريم التعددية واختلاف الشعوب، وأقرّ الرسول ﷺ الأديان الأخرى، ونظّم العلاقة مع اليهود داخل المدينة على أساس واجبات المواطنة وحقوقها⁸.

في المقابل، ومن الناحية الواقعية، فإن جماعة الإخوان تفضل وحدة العمل الإسلامي قيادة وجمهوراً، ولا ترحب بظهور حركات أخرى؛ لاعتقادها بأن هذا يضعف الصف الإسلامي، ويرجع هذا الأمر لاعتقاد جماعة الإخوان، اعتقاداً قوياً وواضحاً وراسخاً، بأنها الحركة الإسلامية الأم، وأنها رائدة الحركة الإسلامية المعاصرة، وهي الأهم من بين سائر التوجهات الإسلامية والأكثر وعياً والتزاماً بتعاليم الإسلام، وبالتالي فإنّ حركة الإخوان، كأبي تيار أو حزب، تسعى لأن تكون الأكثر شعبية والأكثر حضوراً، باعتبار ما ترى من صحة منهجها. على أنّ الحركة، مع هذه الاعتقادات، لا تتبنى سياسة منع المخالفين من التعبير عن أنفسهم، أو تنظيم صفوفهم في حركات مستقلة عنها، باعتبار أنّ القاعدة التي تبناها الشيخ حسن البنا والتزمت بها الحركة هي: ”نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه“. لكن هذا لم يمنع ما كان من منافسات وخلافات بين شباب الإخوان ومخالفهم، وما كان أيضاً من ممارسات ميدانية خاطئة من الطرفين، كما حدث في قطاع غزة خلال الثمانينيات بين شباب الإخوان وشباب حركة الجهاد الإسلامي.

⁷ راجع: توفيق الواعي، الفكر السياسي المعاصر عند الإخوان المسلمين (الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، د.ت)، ص 106.

⁸ خالد الحروب، ”حركة حماس والتعددية الدينية والسياسية“، في جواد الحمد وإياد البرغوثي (محرران)، دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية: حماس: 1987-1996 (عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 1997)، ص 173-183.



أما بالنسبة للعنصر الثاني، والذي يلي في الأهمية، فالاعتقاد قوي لدى جماعة الإخوان بأنه سيكون لهم دور أساسي في تحرير فلسطين، وأنهم الأقدر على ذلك من غيرهم من الحركات. وقد استند هذا الاعتقاد على إيمان الإخوان بأن الإسلام هو العقيدة الوحيدة التي تستطيع تحرير فلسطين، وأن حركتهم تتبنى الإسلام تبنياً صحيحاً شاملاً ومعتدلاً، وأن جماعتهم هي الأكثر حضوراً وقبولاً بين المسلمين، وفكرهم هو الأكثر انتشاراً وفاعلية وقوة، لذا فمن الطبيعي أن يكونوا في مقدمة الأمة الإسلامية في مشروع التحرير⁹. وحسب أدبيات الجماعة، فإن الإخوان هم "الجهة الوحيدة القادرة على انتزاع القضية من أيدي المتهاونين والمتخاذلين، وعلى الصمود والجهاد والصدق في البذل والصبر على العمل الدائب البصير"¹⁰. ولا تستند هذه المقولات إلى "ثقة زائدة" بالنفس، أو مجرد دعايات إعلامية، ولكنها بالنسبة للإخوان تعبير عن شعورهم بثقل المسؤولية تجاه فلسطين، وضرورة أن يتقدموا الصفوف لأداء واجباتهم. أما اعتزازهم بمنهجهم في التحرير، فهو ليس تعصباً برأيهم، وإنما حسبما عبر عدد من قياديينهم، فلو عرفوا منهجاً أفضل (يستند إلى المرجعية الإسلامية نفسها) لسلكوه.

أما بالنسبة لعامل التطور الفكري والسياسي والعسكري لحركة حماس فإن الملاحظ أن صعود قوة حماس العسكرية وقدرتها على مقارعة جيش الاحتلال الإسرائيلي وتوجيه الضربات المؤلمة للمجتمع الإسرائيلي، وازدياد نفوذها السياسي في الشارع الفلسطيني والشارع العربي والإسلامي، وامتداد تحالفاتها ونشاطاتها وتوسعها في البلاد العربية والإسلامية، زادها ثقة بالنفس وقوى شعورها بنجاح خطها ومنهجها، غير أنه في الوقت نفسه دفعها للانفتاح على القوى الأخرى، والسعي لتشكيل تحالفات إسلامية ووطنية واسعة.

⁹ يشرح القيادي السابق في الإخوان المسلمين الفلسطينيين، عبد الله أبو عزة في مذكراته كيف نظر الإخوان للقضية الفلسطينية في فترة الخمسينيات، وينقل طرح الإخوان البديل لأطروحات الحركات الوطنية والقومية واليسارية الفاعلة آنذاك، وهو مضاعفة الجهد في نصرة دعوتهم ورفع شأن حركتهم لأن حركة الإخوان حين تنتصر هي التي ستحرر فلسطين، وعندما يأخذ الإخوان أهبتهم للتحرير فلن يكون الفلسطينيون وحدهم المضطلمين بالمهمة بل ستشاركهم الأمة الإسلامية في كل أقطارها، وهذه المشاركة لن تكون على سبيل المعاونة والمساعدة، بل ستكون على سبيل تأدية الواجب المقدس على كل فرد مسلم في إنقاذ أولى القبليتين، وتطهير أرض الإسراء والمعراج من دنس الصهيونية الأثمة. راجع عبد الله أبو عزة، مرجع سابق، ص 86.

¹⁰ زياد أبو عمرو، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة: الإخوان المسلمون الجهاد الإسلامي (عكا: دار الأسوار، 1989)، ص 51.

وقد أدت هذه المشاعر إلى ظهور أصوات داخل حماس ترى أنّ المطلوب من حركة الجهاد الإسلامي، هو الاندماج في صفوفها والانضواء تحت رايتها، طالما أن مبررات تأسيس حركة الجهاد كانت تدور حول ضرورة العمل العسكري ضدّ "إسرائيل"، الأمر الذي تبنته حماس وسارت فيه شوطاً طويلاً.

إلا أنّ مثل هذا الطرح لم يأخذ أبعداً جدية، بالرغم من أن عرض مشروع الوحدة نُقل عن الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي رمضان شلح أكثر من مرة كما ذكرت قيادات من حماس. على أيّ حال، فالذي يبدو الآن بوضوح أن المسار العام للعلاقة بين الطرفين يميل إلى التعايش والتعاون والتنسيق، أكثر منه نحو الاندماج.

بناء على ذلك، واستناداً لهذا الأمر، فإنّ ما يمكن قوله بتركيز شديد حول مواقف حماس من الحركات الإسلامية الفلسطينية الأخرى هو أنّ هذه المواقف قد تباينت وتنوعت، ويمكن أن نراها متوزعة بين الاهتمام الشديد بحركة ما وبين عدم الاكتراث بحركة أخرى؛ وذلك تبعاً للبنية الفكرية والرؤية السياسية لكلّ حركة من الحركات الإسلامية الفلسطينية، ومدى تأثيرها على الشارع الإسلامي ونفوذها فيه، وبالتالي درجة قدرتها على منافسة حماس فكرياً وسياسياً والحدّ من انتشارها وقوتها.

والطرح المقبول عند حماس من هذه الحركات إن رفضت الاندماج وأصرّت على البقاء خارج إطار الجماعة الواحدة، هو التنسيق والتعاون الكاملين في الخطوات العملية والمواقف السياسية. وسنتناول في العرض التالي باختصار مواقف حماس من حزب التحرير، ومن الجماعات الصوفية، والجماعات السلفية، ومن حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.

ثالثاً: موقف حماس من حزب التحرير:

يرجع تأسيس حزب التحرير لسنة 1953، وقد أسّسه في القدس القاضي الشرعي تقي الدين النبهاني بالاشتراك مع داود حمدان، ونمر المصري، ومنير شقير، وعادل النابلسي، وعبد القديم زلوم، وغانم عبده.

وأخذ الحزب اسمه من ضرورة إنهاء الأمة الإسلامية من الانحدار الذي وصلت إليه، وتحريرها من أفكار الكفر وأنظمتها وأحكامها، ورأى أن هذا التحرير يكون "برفعها



فكرياً عن طريق تغيير الأفكار والمفاهيم التي أدت إلى انحطاطها، تغييرات أساسية شاملة، وإيجاد أفكار الإسلام ومفاهيمه الصحيحة لديها، حتى تكيف سلوكها في الحياة وفق أفكار الإسلام وأحكامه¹¹.

ورأى الحزب أيضاً أن قيام حزب سياسي إسلامي فرض شرعي؛ بغية إنهاء الأمة الإسلامية من الانحدار الشديد الذي وصلت إليه، وبغية العمل على إعادة دولة الخلافة الإسلامية إلى الوجود¹². وهذا الحزب هو تكتل المسلمين على أساس الإسلام وحده فكرة وطريقة، ”ويحرم عليهم أن يتكتلوا على أساس رأسمالي أو شيوعي أو اشتراكي، أو قومي أو وطني أو طائفي أو ماسوني، لذلك فإنه يحرم عليهم إقامة أحزاب شيوعية أو اشتراكية أو رأسمالية أو قومية أو وطنية أو طائفية أو ماسونية، ويحرم عليهم الانتساب إليها“¹³.

وهذا يعني اختلاف الحزب تماماً وبشكل قطعي عن أي حركة تتبنى الوطنية أو القومية، ومنها المنظمات الفلسطينية المختلفة، التي تجمعت تحت إطار منظمة التحرير. على أن مفارقة الحزب لم تكن فقط عن الحركات السياسية الوطنية والقومية الأخرى، بل افترق أيضاً عن جماعة الإخوان المسلمين، وعدّها وسائر الحركات الإسلامية الإصلاحية عامة على غير الطريق السليم للنهضة بالمسلمين، وبحسب الحزب فإن هذه الحركات تعاني من:

عدم وضوح طريقة الإسلام لديهم في تنفيذ فكرة الإسلام وأحكامه وضوحاً تاماً، فحملوا الفكرة الإسلامية بوسائل مرتجلة، وبشكل يكتنفه الغموض وصاروا يرون أن عودة الإسلام تكون ببناء المساجد وإصدار المؤلفات، أو بإقامة الجمعيات الخيرية والتعاونية، أو بالتربية الخلقية وإصلاح الأفراد، غافلين عن فساد المجتمع، وسيطرة أفكار الكفر وأحكامه وأنظمتها عليه، ظانين أن إصلاح المجتمع إنما يكون بإصلاح أفكاره ومشاعره وأنظمتها، وإصلاحها سيؤدي إلى إصلاح أفرادها¹⁴.

¹¹ كما جاء في كتاب نشره الحزب: حزب التحرير (د.م: د.ن، د.ت)، ص 12.

¹² المرجع نفسه، ص 6.

¹³ المرجع نفسه، ص 11.

¹⁴ المرجع نفسه، ص 15-16.

لذا يمكن القول، إنَّ حزب التحرير قد طرح نفسه حين تأسس سنة 1953، بديلاً عن حركة الإخوان المسلمين من أجل إعادة الخلافة الإسلامية، وتحرير البلاد الإسلامية من الهيمنة الاستعمارية الغربية، ونتيجة لذلك فقد تبلور خلال السنين خلاف نظري وسياسي وعملي بين الحزب وبين جماعة الإخوان المسلمين، وطُبع تاريخ الحزب منذ تأسيسه ولاحقاً، بطابع الصراع السياسي مع الحكم الأردني والصراع الفكري مع جماعة الإخوان المسلمين، والتي احتفظت بعلاقات حسنة عموماً مع النظام¹⁵.

إنَّ هذه الخلفية من الاختلاف الفكري والسياسي، قد دفعت حزب التحرير في فلسطين نحو الابتعاد عن حركة حماس وأنشطتها، وعدم الثقة بسياساتها ومواقفها، وتوجيه الانتقادات المستمرة لها، ولم يعترف الحزب بالحكومة التي تقودها حماس بغزة¹⁶، وكرر في بياناته وخطابه السياسي مطالبته الحركة بالالتزام بالنهج الذي يعتقد هو أنه الطريق الوحيد الصحيح لتحرير فلسطين، وهو طلب النصر من جيوش الأمة الإسلامية، وإقامة الخلافة، ومن ثمَّ تحرير فلسطين.

وقد أدت هذه المواقف إلى حدوث بعض حوادث الصدام بين أنصار حزب التحرير وبين الحكومة التي تقودها حماس في غزة حين أراد هؤلاء الأنصار إقامة مهرجانات عامة، ولم تسمح لهم الحكومة.

تتركز انتقادات حزب التحرير لحماس حول مواقفها السياسية وتصريحات قادتها، وحيث إنَّ حزب التحرير يقف موقفاً صارماً من الاعتراف بـ"إسرائيل"، فإنَّ موقف حماس السياسي بعد دخولها في حلبة التنافس على زعامة السلطة الوطنية الفلسطينية سنة 2006، وحدث تغيير في خطابها ولهجتها السياسية، حسب مقتضيات موقعها الجديد، قد جرَّ الانتقاد العلني والصريح لها من الحزب.

وقد علقت مجلة الوعي، التي تمثل أفكار الحزب من خلال إسهامات أعضائه، على مسألة الاعتراف بـ"إسرائيل" في عددها الصادر في تشرين الثاني/نوفمبر 2006 بالقول:

¹⁵ لتفاصيل واسعة حول صراع الحزب مع الحكم الهاشمي في الأردن، راجع كتاب: أمنون كوهين، الأحزاب السياسية في الضفة الغربية في ظل النظام الأردني 1949-1967، تعريب خالد حسن (القدس: مطبعة القادسية، 1988).

¹⁶ في 2012/6/26، صرح عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير الإسلامي في فلسطين ماهر الجعبري خلال البرنامج التلفزيوني "أكثر من سؤال" الذي يبث عبر قناة "ميكس معاً"، أن حزبه لا يعترف بشرعية السلطة الفلسطينية تحت الاحتلال، سواء في الضفة الغربية أم قطاع غزة. موقع لبلاب، انظر:

<http://www.lolab.com/item.aspx?itemid=26162>



عباس يقول فيها "نعم" للاعتراف، وهنية لا يفكر بقول "لا" ولا بقول "نعم" وإنما بقول "لعم" ¹⁷. أما بالنسبة لاتفاق مكة بين حركتي فتح وحماس تحت رعاية الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز، فإن الحزب لم يكن متحمساً لهذا الاتفاق ولم يرافيه خيراً للمسلمين ولا لقضية فلسطين.

وقد كتبت مجلة الوعي في كلمتها الافتتاحية لعدد آذار/ مارس 2007 معلقة على قرارات واتفاقات مكة قائلة: "إنه لأمر واضح جلي لذي عينين أن كل هذه القرارات والاتفاقات تقر وتعترف بدولة يهود، وهي مقدمة لإزالة بقايا ورقة التوت — إن ظلت لها بقايا — التي كانت تغطي المناورات اللفظية ليحل محلها الاعتراف المباشر دون أية قصاصة من ورق" ¹⁸، وتستطرد الافتتاحية باعتبار التوقيع على اتفاق مكة "كارثة"، وترى أن ما زاد في فظاعة هذه الكارثة وجرأتها على دين الله أنها:

1. وُقِّعت في الشهر الحرام وفي البلد الحرام، والجريمة فيه أشد من غيره.
2. أن موقعيها قد صنعوا لها عملية إخراج من خلال تصعيد اقتتال أهل السلطة (فتح) وأهل الحكومة (حماس) "وسفك الدماء البريئة لإدخال الرعب في قلوب أهل فلسطين ليقبلوا بالاتفاق الكارثة حقناً للدماء".
3. أن الإقرار والاعتراف بـ "إسرائيل" قد جاء في وقت يتصاعد فيه إجرامها في حفريات المسجد الأقصى ¹⁹.

لم يتوقف نقد حزب التحرير لحركة حماس، ولن نستطيع هنا بالطبع تلخيص كافة الانتقادات، ولكننا نشير لبعضها، ففي 2012/12/21 دعا حزب التحرير حركة حماس في تعليق صحفي، أصدره ونشره موقع المكتب الإعلامي للحزب في فلسطين تحت عنوان "أيها الأخوة في حماس: ما لكم تخطئون وجهة الاستنصار عند كل جريمة يهودية؟"، للتوقف عن مناشدة المجتمع الدولي، وعدّ أن "المعركة مع الاحتلال اليهودي المجرم ليست قانونية"، ووجه ما أسماه "رسالة نصح لأخوتنا في حركة حماس" قائلاً: "أن لكم أن تصدعوا بوجهة الاستنصار الصحيحة، وهي جيوش الأمة، وأن تدعوها

¹⁷ مجلة الوعي، العدد 237، تشرين الثاني/ نوفمبر 2006، شوال 1427 هـ، ص 4، تصدر المجلة في بيروت بلبنان عن ثلثة من الشباب المسلم الجامعي في لبنان ممن يحملون فكر الحزب، انظر: http://www.al-waie.org/issues/237/article.php?id=422_0_33_0_C

¹⁸ الوعي، العدد 241، آذار/ مارس 2007، صفر 1428 هـ، كلمة الوعي، ص 3.

¹⁹ المرجع نفسه.

للتحرك للقيام بواجبها الجهادي لخلع هذا الاحتلال، وخصوصاً في أجواء الثورات التي تزلزل أركان الأنظمة العربية... فانصروا الله ينصركم“.

وختم الحزب تعليقه بالقول إنه في سياق إحسان الظن بكل مسلم، فهل يتوقع المسلمون أن المستقبل سيكشف عن تصريحات جديدة تقول فيها قيادة حماس إنها ”تدعو جيش مصر وجيوش دول الطوق للتحرك العاجل لإنقاذ الأرض الفلسطينية من الاحتلال اليهودي وجرائمه؟“²⁰.

جاء تصريح حزب التحرير هذا في أعقاب ما نُقل من أقوال لأحمد بحر، النائب الأول لرئيس المجلس التشريعي، طالب فيها ”المجتمع الدولي بإنقاذ الأرض الفلسطينية من السرقة“، ودعا فيها الجامعة العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي²¹ (Organization of Islamic Conference (OIC)، ومنظمة الأمم المتحدة، والبرلمانات العربية والإسلامية والدولية، إلى الصدع بموقف جادٍ وحقيقي وإعلاء الصوت والموقف في مواجهة ”القوانين العنصرية الإسرائيلية“²²، وقد عدّ حزب التحرير:

أن دولة الاحتلال اليهودي لا تكتثر بالتهديدات القانونية، وخصوصاً وهي تترك تماماً أن هنالك عباءة أمريكية عريضة جاهزة لستر عورتها القانونية كلما انكشفت في المحافل الدولية... وأن المؤسسات التي تضم الأنظمة العربية المتخاذلة عن نصرته فلسطين من مثل الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي هي شريكة في جرائم الاحتلال، من خلال ستر عورات الأنظمة المتخاذلة عن نصرته فلسطين، ومن خلال ترويض مبادرات التطبيع مع الاحتلال كما فعلت الجامعة العربية... وأن الأمم المتحدة هي التي شرّعت الاحتلال على أرض فلسطين، وهي أداة في يد أمريكا والقوى الدولية التي تعتبر أمن دولة يهود فوق كل اعتبار كما صرح [باراك] أوباما [Barack Obama].

ومن ثم يتساءل حزب التحرير: ”فأي جدوى من هذا الاستنصار لكل تلك الجهات المتآمرة! وماذا يمكن أن يتمخض عن تلك ”المعارك القانونية“ الواهمة أمام جرائم الاحتلال؟“، وعدّ ”أن إيقاف مسلسل الجرائم اليهودية لا يتم إلا عندما تتحرك جيوش المسلمين في معركة فاصلة تخلع هذا الاحتلال من جذوره“.

²⁰ انظر: موقع المكتب الإعلامي لحزب التحرير في فلسطين، 2011/12/17، في: <http://www.pal-tahrir.info>

²¹ أصبح اسم المنظمة الرسمي ”منظمة التعاون الإسلامي“ بدءاً من 2011/6/28.

²² وكالة معاً الإخبارية، 2011/12/21، انظر: <http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=446756>



بالرغم من النقد الشديد الذي يوجهه حزب التحرير للإخوان المسلمين ولحركة حماس، فإنّ الأخيرة لا تولي اهتماماً كبيراً للحزب بسبب نفوذه وتأثيره المحدودين، ولكون نشاطاته تنحصر في المجال الفكري والدعائي، ولا تشمل أيّ تحرك عملي، مما يجعله من الناحية الفعلية قليل التأثير على الواقع السياسي، وضعيف القدرة على استقطاب التأييد الجماهيري.

ويعود موقف حماس من حزب التحرير ليس فقط إلى اعتقاد جماعة الإخوان أن توحيد الصف الإسلامي أولى من بعثته وتجزئته، ولكن لأنها ترى أن الطرق والوسائل التي اختطها الحزب لتحقيق أهدافه لا تؤدي لتحقيق الثمار المرجوة. كما أنّ الإخوان المسلمين ردّوا بأدبياتهم على أطروحات حزب التحرير الفكرية، محاولين إظهار تناقضاتها، وعدم واقعيتها، ومخالفة قسم منها للأحكام الشرعية المعروفة²³.

رابعاً: موقف حماس من الجماعات الصوفية:

في المقابل، لا يوجد اهتمام كبير من قبل حماس بالجماعات الصوفية، لكون هذه الحركات غير مُسيّسة، ولأنّ مشايخ الصوفية لا يشكلون تحدياً فكرياً ولا سياسياً لحماس، ولا يمنعون أتباعهم من الانضواء تحت رايتها والعمل معها، وقد انضم الكثيرون من أبناء الطرق الصوفية لحركة حماس، ومنهم رئيس وزراء حكومة حماس الحالية في غزة إسماعيل هنية، والذي كان في مرحلة مبكرة من عمره من أتباع شيخ الطريقة الشاذلية الشيخ إبراهيم الخالدي، ويتردد على زاويته في مخيم الشاطئ²⁴.

²³ من أشهر كتب الإخوان في الرد على حزب التحرير كتاب صادق أمين (وهو اسم مستعار لعبد الله عزّام، حين كان من القادة البارزين للإخوان في الأردن)، صادق أمين، الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية (عمّان: جمعية عمال المطابع التعاونية، 1978)؛ ويلخص كتاب الحركة الإسلامية في فلسطين، والذي نشره أحد أنصار حماس في فلسطين، أبو الخوالد الحسن، بعض الأفكار الأساسية لحزب التحرير، ويستعرض موقف الإخوان منه، وتقويمهم له وردودهم على جملة من آراء الحزب الفقهية والفكرية. ويروي مناقشة سيد قطب للنبهاني خلال اجتماعه به بالقدس بعد إعلان الحزب، وقد ذكره بمغبة عمله وبموقفه أمام الله تعالى وبحالة المسلمين البئيسة التي تحتاج إلى تجميع الجهود، وعرض عليه إن أراد الإصلاح أن يعمل من خلال دعوة الإخوان بالأردن....، ولكن النبّهاني اشترط، حسب الرواية، فصل جماعة الإخوان بالأردن عنهم في مصر. راجع: أبو الخوالد الحسن، الحركة الإسلامية في فلسطين (د.م: دن، د.ت)، ص 144-165.

²⁴ معلومة من الشيخ يعقوب قرّش، أبرز شيوخ الشاذلية في فلسطين خلال مقابلة أجراها الباحث معه في 2011/11/11.

مع هذا، فإنّ اقتصار المتصوفة على التركيز على الجانب الروحي، والمبالغة به مع عدم الاهتمام بالقضايا الإسلامية وبال دعوة كان موضع انتقاد من قبل جماعة الإخوان²⁵.

خامساً: موقف حماس من الجماعات السلفية:

يختلف موقف حماس من الجماعات السلفية عنه من الجماعات الصوفية، وذلك لانخراط العديد من هذه الجماعات بالعمل السياسي والعسكري، وتعارض أفكارها وبرامجها مع أفكار وبرامج حماس. على الرغم من ذلك فإن حماس لا تعدّ الحركات السلفية منافساً حقيقياً لها، ويعود هذا بالأساس إلى كون هذه الجماعات، بالرغم من نشاطها السياسي، تفتقد إلى البرنامج السياسي الواضح والرؤية الفكرية الملائمة لمعالجة الواقع الفلسطيني، ولا تشكل في امتدادها الجماهيري حالة تحدّ لنفوذ حماس وقوتها.

كما أنّ الجماعات السلفية تتكون من مجموعات متعددة، تتباين في أفكارها وأطروحاتها عن جماعة الإخوان، وتختلف بالتالي في قربها أو بعدها عنها. ومن ناحية أخرى فإنّ مصطلح السلفية لا يفهم أو يعرف عند الحركات الإسلامية بالطريقة نفسها، فالإخوان المسلمون أنفسهم يعدّون دعوتهم "دعوة سلفية" بحسب تعريف البنا نفسه، والذي لم يكن مثل ما تفهمه الحركات السلفية الأخرى، التي تتبنى أطروحات أقرب إلى ما يسمى المدرسة السلفية السعودية "الوهابية"، وترفض التربية الصوفية التي تبناها البنا أيضاً. ومع هذا، تجدر الإشارة هنا إلى أنّ الكثيرين من الإخوان المسلمين الفلسطينيين لهم ميول سلفية، وخصوصاً أولئك الذين درسوا في الجامعات السعودية، أو المقيمين في دول الخليج.

أما خلاف وصدام حماس مع بعض الجماعات السلفية فقد نجم عن علاقة الأخيرة بتنظيم القاعدة، وعن محاولات أفراد وجيوب من هذه الجماعات تطبيق الأحكام الشرعية بالقوة في غزة، وفرض إرادتهم على المجتمع، ولم يكن ناجماً عن كون هذه الجماعات تشكل تحدياً لقوة حماس وقدرتها على قيادة العمل الإسلامي.

يوجد من الناحية الفكرية والعقائدية اختلافات بين حماس وبعض الاتجاهات السلفية، خصوصاً المرتبطة بتنظيم القاعدة، وتحديداً في المسائل المتعلقة بالتكفير وإراقة

²⁵ أبو الخوالد الحسن، مرجع سابق، ص 143.



الدماء، ومنها كذلك مثلاً الموقف من الشيعة الإمامية الاثني عشرية، حيث ترفض حماس، وحركة الإخوان عموماً، الموقف السلفي - الوهابي التكفيري منهم، وتعدّ الخلافات معهم محصورة في قضايا عقائدية وفقهية وتاريخية لا تصل إلى حدّ إخراجهم من الملة، وتستند حماس في ذلك إلى موقف الإمام ابن تيمية نفسه في عدم تكفير الشيعة الاثني عشرية.

لم يقتصر الخلاف بين حماس وهذه الاتجاهات السلفية على الجانب الفكري والعقائدي، بل تعداه للصدام المسلح، فقد أثارت أحداث رفح بين الأجهزة الأمنية في غزة وبين تنظيم أنصار جند الله نقاشاً كبيراً، إذ أعلن الأب الروحي للتنظيم عبد اللطيف موسى عن قيام إمارة إسلامية، في مسجد ابن تيمية بمدينة رفح في 2009/8/14. ووقعت اشتباكات بين الأجهزة الأمنية والتنظيم أدت إلى مقتل 28 وإصابة نحو 150 آخرين. وكان بين القتلى عبد اللطيف موسى نفسه وخالد بنات المعروف بأبي عبد الله السوري أو المهاجر، مؤسس التنظيم وقائده العسكري. ومن بين القتلى ستة من الأجهزة الأمنية وحماس، من بينهم محمد الشمالي قائد الكتيبة الشرقية في كتائب القسام في رفح؛ كما قتل ستة مواطنين، واعتقلت السلطة نحو مئة من أعضاء جماعة أنصار جند الله ومؤيديها²⁶.

وقد امتد الاشتباك لمنزل الشيخ أبو موسى، وقامت حماس بتفجير المنزل على من فيه. أما الصدام الثاني فوقع في نيسان/ أبريل 2011، بعد أن قامت مجموعة سلفية تطلق على نفسها جماعة التوحيد والجهاد باختطاف المتضامن الإيطالي فيتوريو أريغوني Vittorio Arrigoni في 15 نيسان/ أبريل؛ من أجل الضغط على حكومة حماس لإطلاق سراح معتقليها وعلى رأسهم زعيمها هشام السعيدني²⁷، وعثر في اليوم التالي على جثة أريغوني مقتولاً في أحد الشقق المهجورة شمال القطاع. وقد وصفت حماس الجماعة المخططة والمنفذة للقتل بالمنحرفة فكرياً والخارجة عن القانون، ونجحت قوى حكومة حماس الأمنية في 19 نيسان/ أبريل بتتبع القاتلين وحصرهم في منزل بمخيم النصيرات وسط القطاع، وقد قتل اثنان منهم خلال اشتباك مسلح، وألقي القبض على متورط ثالث.

²⁶ محسن محمد صالح (محرر)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2009 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2010)، ص 55-56.

²⁷ الجزيرة نت، 2011/4/15، انظر:

<http://www.aljazeera.net/news/pages/11006454-deff-47f2-b053-a81f8abc508b>

سادساً: موقف حماس من حركة الجهاد الإسلامي:

إنَّ الأمر بالنسبة لموقف حماس من حركة الجهاد الإسلامي وعلاقتها بها أكثر تعقيداً من الموقف من العلاقة مع الحركات الأخرى، فالعلاقة بين الحركتين مرت بمراحل ثلاث، وتغيرت وتطورت عبر عقود عمرهما الثلاثة الأخيرة.

مثلت المرحلة الأولى حالة صراع وتنافس حادّين بين حركة الجهاد الإسلامي وجماعة الإخوان المسلمين، ومن ثم حركة حماس، نجمت عن الاختلاف في الفكر والطرح العام المتعلق بالقضية الفلسطينية، والاختلاف في مسائل ذات علاقة بجماعة الإخوان المسلمين ودورها السياسي على الساحة الإسلامية عموماً، والفلسطينية خصوصاً.

أما المرحلة الثانية فقد تجسّد فيها نوع من التقارب والتفاهم والتعاون بين الحركتين، خصوصاً مع استهداف "إسرائيل" الشرس لهما، وحرّباها الدموية ضدّ قادتهما وعناصرهما، ممّا دفعهما للوقوف في صفٍّ واحد لمواجهة حرب "إسرائيل".

وبالنسبة للمرحلة الثالثة فقد جاءت بعد سلسلة الأحداث التي تلت فوز حماس في الانتخابات التشريعية سنة 2006 وتشكيلها للحكومة العاشرة، ثمّ حكومة الوحدة الوطنية، ثمّ اضطرارها للحسم العسكري في قطاع غزة ووقوع القطيعة بينها وبين حركة فتح.

وبالرغم من اختلاف الحركتين حول مسألة المشاركة بالانتخابات، والقبول بالاشتراك بالسلطة الوطنية، إلا أنّ الموقف العربي الرسمي والموقف الغربي والأمريكي والإسرائيلي المعادي بشكل واضح لحكومة حماس، والرافض لشرعيتها المستندة للانتخاب الديموقراطي، قد أوجد حالة من التقارب الأوثق بين الحركتين من أجل الدفاع عن قطاع غزة، وإفشال المحاولات الهادفة لإرجاعه لحظيرة اتفاقات وقيود أوسلو.

وقد دفعت حرب "إسرائيل" العدوانية على غزة أواخر سنة 2008 وبدايات سنة 2009، ومفاوضات المصالحة الفلسطينية، وحركات التغيير والثورات في العالم العربي التي أسقطت نظام بن علي بتونس ومبارك بالقاهرة والقذافي بليبيا الحركتين إلى مزيد من التعاون والتنسيق فيما بينهما.



1. المرحلة الأولى حتى 1987:

لم يكن خروج حركة الجهاد الإسلامي من رحم الإخوان المسلمين بقطاع غزة عملية سهلة، فقد امتاز هذا الخروج بالصدام والصراع والنزاع بين الطرفين. وعاشت حركة الجهاد منذ بدايات تأسيسها في حالة خلاف مع جماعة الإخوان، نتج عنها في النهاية تأسيس حماس وحدث تغيير مهم في مجمل الموقف السياسي للإخوان من القضية الفلسطينية. فهل كانت حركة الجهاد هي المحرك الأساسي لتأسيس حماس؟

تباينت آراء الباحثين والدارسين حول هذه القضية، ففي حين يعتقد فريق أن حركة حماس جاءت نتيجة للتحدي الذي فرضته حركة الجهاد الإسلامي أمام جماعة الإخوان المسلمين في غزة، ولم تكن تطوراً ذاتياً لخطاب الجماعة السياسي، ولموقفها من القضية الفلسطينية؛ وهذا ما ذهب إليه مثلاً، الباحث خالد زواوي²⁸، ويمكن القول، إن هذا الرأي يعبر عن موقف حركة الجهاد الإسلامي نفسها، وروايتها لنشوء حماس، يرى آخرون خلاف ذلك، إذ لا يرد في شهادة الشيخ أحمد ياسين التي بثتها قناة الجزيرة القطرية ضمن برنامج "شاهد على العصر"، ونشرت لاحقاً في كتاب، أي ذكر لتأثير حركة الجهاد الإسلامي على تأسيس حماس، كما أن خالد مشعل في المقابلة المطولة التي أجراها معه غسان شربل لصحيفة النهار، ونشرت لاحقاً في كتاب مستقل، لا يشير لمثل هذا التأثير، ويتحدث عن سياق تاريخي لتأسيس حماس في الخارج، بدأ منذ تأسيس قائمة الحق الإسلامية في انتخابات اتحاد طلبة فلسطين في جامعة الكويت سنة 1977²⁹.

على أي حال، فمن المؤكد أن ظهور حركة الجهاد الإسلامي كان عاملاً مسرعاً في تبني جماعة الإخوان المسلمين لخط المقاومة والجهاد المسلح ضد "إسرائيل"، ولتبنيها لجملة من التحليلات والأطروحات الفكرية التي طرحتها حركة الجهاد. ويمكن لنا أن نرصد تأثر شباب الإخوان المسلمين بأطروحات فتحي الشقاقي حول القضية الفلسطينية، وخصوصاً أطروحته بأن القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للحركة الإسلامية، وهي أطروحة لم تعرفها أدبيات الإخوان قبل الشقاقي. ويرى محسن محمد صالح أن

²⁸ خالد زواوي، مرجعية الخطاب السياسي في فلسطين (رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسات الديمقراطية (مواطن)، 2012)، ص 87.

²⁹ راجع: غسان شربل، خالد مشعل يتذكر: حركة حماس وتحرير فلسطين (بيروت: دار النهار، 2006)، ص 32-38.

أدبيات الإخوان، متفقة على أن فلسطين "قضية مركزية" للأمة وللحركة الإسلامية؛ لكن القول أن أدبياتهم لم تطرح فكرة أنها "القضية المركزية" قبل الشهيد الشقاقي، ربما تكون صحيحة. غير أنه يرى، حسبما أجرى من مقابلات، أن النقاشات داخل الإخوان الفلسطينيين حول الفكرة والاتجاه إلى تبنيها، يعود على الأقل إلى 1981-1982 في وسط الإخوان الفلسطينيين في الكويت (خالد مشعل وإخوانه)³⁰.

بقراءة ما قاله رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل بأن تأسيس مشروع حماس بدأ يتأطر ويتبلور بين سنتي 1985 و1986، وقد أخذ المشروع:

ينضج دون أن يعلن عن نفسه، وكان التواصل بين الداخل والخارج عميقاً يرسم ملامح هذا المشروع. وكنا في الخارج نركز على جمع التبرعات لتحريك المشروع ولتأمين نفقاته، وعلى استقطاب الفلسطينيين في الشتات، وعلى التواصل مع العمق العربي والحركات الإسلامية. وفي هذه الأوساط أخذنا ننشر فكرة أن القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة³¹.

على أن هذا لم يكن العامل الوحيد، إذ ينبغي الانتباه هنا إلى وجود عوامل أخرى كان لها تأثيرها الواضح على تأسيس حماس وتعاضم قوتها لاحقاً، فالبنية الفكرية والعقائدية لجماعة الإخوان كانت عاملاً مهماً في تبني هذا الخط، بالإضافة للدور الذي لعبته الجماعة تاريخياً بالنسبة للقضية الفلسطينية، مثل تجربة الإخوان خلال حرب 1948، وتجربتهم مع حركة فتح من خلال "معسكرات الشيوخ" في الأردن، والتي انتهت مع نشوب حرب أيلول/سبتمبر بين النظام الأردني والفدائيين سنة 1970. فهذه العوامل تشير بوضوح إلى أن الفكرة لم تكن غائبة عن وعي الجماعة وخطتها المستقبلية، بالرغم من أنها لم تتبلور إلا بعد نشوب الانتفاضة الأولى أواخر سنة 1987.

ويمكن لنا أن نتحدث عن ثلاث قضايا أساسية حدّدت موقف حماس من حركة الجهاد الإسلامي:

من الناحية الأولى، تشكلت حركة الجهاد داخل رحم جماعة الإخوان المسلمين، وبلورت خطاباً نقدياً للجماعات والحركات الإسلامية بمجملها ولموقفها الذي وسمته

³⁰ رسالة إلكترونية، من محسن محمد صالح، بيروت، إلى الباحث سميح حمودة، رام الله، 8/10/2012.

³¹ غسان شربل، مرجع سابق، ص 39.

بالتخاذل من القضية الفلسطينية، ومن العمل العسكري ضدّ الاحتلال، فيما يمكن اعتباره تحدياً فكرياً وسياسياً لهذه الحركات عموماً ولجماعة الإخوان على وجه الخصوص³²، وقد تبنت حركة الجهاد اتجاهاً فكرياً وسياسياً وحركياً ثورياً، لا يؤمن بمنهج الإخوان المستند لفكرة الإصلاح التدريجي والبطيء للمجتمع العربي في جميع نواحي الحياة اليومية من أجل تهيئته للمقاومة والجهاد، بل إن البديل هو العمل الثوري من قبل طليعة إسلامية تكون قادرة على فرض نظام إسلامي يقوم بعد شنّ حرب شاملة على "إسرائيل"³³.

من ناحية ثانية، فإن النقد الحاد الذي وجهه مؤسسو حركة الجهاد لجماعة الإخوان المسلمين لم يقتصر على موقفهم من القضية الفلسطينية، بل امتد ليشمل فكرهم تجاه واقع في العالم العربي عموماً، وفي مصر وغزة على وجه الخصوص؛ وهو ما أحدث عند الإخوان حالة من الاستنفار والحساسية تجاه حركة الجهاد، وأدى أحياناً إلى بعض الاحتكاكات الميدانية بين الطرفين، خصوصاً في قطاع غزة.

من ناحية ثالثة، فقد عدّت حركة الجهاد الثورة الإسلامية الإيرانية بقيادة آية الله الخميني مرجعية لها، كما عدّت الإمام الخميني مجدداً إسلامياً وقائداً للتغيير وللمرحلة، ممّا أشعل الضوء الأحمر عند الإخوان المسلمين؛ الذين لم يكونوا ليقبلوا باتباع كبيرٍ لمرجعية من خارج صفوفهم، ناهيك عن أن تكون مرجعية شيعية غير سنية.

فالإخوان المسلمون يلتزمون بمرجعيتهم في المسائل الإدارية والتنظيمية، ويستفيدون بشكل كبير عندما يتعلق الأمر بالقضايا الفكرية والإسلامية العامة، من علماء كبار في وسطهم أو قرييين منهم، كأبي الأعلى المودودي وأبي الحسن الندوي، ومالك بن نبي... وغيرهم، إلا أنّهم في فلسطين لم يرتاحوا للمدى الذي ذهب إليه

³² يرى إياد البرغوثي أن الأساس في موقف الإخوان من حركة الجهاد كان الخوف من حصد جماهيرية أوسع من جماهيرية الإخوان، وبطولات أكبر من تلك البطولات التي تعزى إلى حركة الإخوان، لذلك سرعان ما قامت جماعة الإخوان بالإعلان عن نفسها تحت مسمى حركة حماس في بداية الانتفاضة في 14/12/1987، وأنها أحد أجنحة الإخوان المسلمين، خاصة وأن انتفاضة سنة 1987 انتفاضة لمع فيها نجم الجهاد الإسلامي كحركة عسكرية إسلامية. انظر: إياد البرغوثي، **الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة** (القدس: مركز الزهراء للدراسات والأبحاث، 1990)، ص: 89؛ كما يرى أحد مؤسسي حركة الجهاد، الشيخ عبد العزيز عودة، أن الإخوان اعتقدوا أن حركة الجهاد تمثل البديل لهم. انظر: زياد أبو عمرو، **الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة**، ص: 158.

³³ زياد أبو عمرو، **الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة**، ص: 151.

حركة الجهاد الإسلامي في الاقتراب من الثورة الإيرانية وأطروحاتها، وقيام مؤسسها الشقاقي بمبايعة الإمام الخميني.

يقول الشقاقي في معرض نقده لمواقف الحركات الإسلامية من القضية الفلسطينية: "إذا كان غياب الحركة الإسلامية مفهوماً ومبرراً في فترة الخمسينيات والستينيات، فإنه لا يمكن فهم أو تبرير هذا الغياب المذهل للحركة الإسلامية الآن عن احتلال موقعها الحقيقي في قيادة المرحلة وتوجيه أحداثها والسيطرة على متغيراتها"³⁴.

وقد طرح الشقاقي مقولة "القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للحركة الإسلامية"، ورأى أن المشروع الصهيوني والدولة العبرية هو جوهر الصراع الغربي - الإسلامي، وأن التصدي لـ "إسرائيل" هو أول واجبات حركة النهضة الإسلامية.

نقد حركة الجهاد لجماعة الإخوان المسلمين:

لسنا هنا بصدد حصر وذكر جميع الانتقادات التي وجهتها حركة الجهاد للإخوان المسلمين، بل ما يعنينا هو ذكر أبرزها لتبيان دور هذه المسألة في بلورة موقف الإخوان، وحماس لاحقاً، من الحركة، وإعطاء خلفية تفسيرية لموقف حماس الذي يتسم بالحساسية تجاه حركة الجهاد في الثمانينيات من القرن العشرين، مع ملاحظة أن العلاقة بينهما تجاوزت في مراحل لاحقة حالة التأزم والصراع إلى حالة التفاهم والتنسيق والتحالف، نظراً لاشتباك الحركتين في قتال شرس مع الاحتلال الإسرائيلي، وحاجتهما بالتالي للوقوف صفاً واحداً في معركة الوجود والبقاء ضده. وسنشير هنا للانتقادات التالية³⁵:

1. أن حركة الإخوان المسلمين لا تمارس النقد الذاتي.
2. غياب البرنامج السياسي الواضح للإخوان.
3. سيادة نزعة تقديس الرجال.

³⁴ كما جاء في: المرجع نفسه، ص 150.

³⁵ يستند هذا التلخيص لكتابي زياد أبو عمرو وخالد زاوي، سابق الذكر، وكتاب محمد مورو، فتحي الشقاقي: صوت المستضعفين في مواجهة مشروع الهيمنة الغربي (غزة: المركز الفلسطيني للدراسات والتواصل الحضاري، 2011).



4. افتقاد الإخوان لرؤية ونظرية للتاريخ.
 5. اتخاذ الإخوان موقف المهادن والمتعايش مع الأنظمة العربية³⁶.
 6. اعتماد الإخوان في تكوين شبابها مناهج "سكونية تقريرية حسابية منخلعة عن الواقع الموضوعي القريب والبعيد، الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفكري، المتحول المتغير أبداً"، مما أدى إلى إصابة شباب الحركة بالتقاعس³⁷.
 7. سيادة عقلية التلقي لدى أعضاء جماعة الإخوان المسلمين³⁸.
- وربما عكست بعض هذه الانتقادات البيئة التي عاش فيها مؤسسو حركة الجهاد، أو التجربة الشخصية لبعضهم؛ إذ إن فروع جماعة الإخوان في أماكن أخرى لاتنطبق عليها العديد من هذه الانتقادات.

موقف حركة الجهاد من الثورة الإيرانية ومن الشيعة:

تأثر فتحي الشقاقي، مؤسس حركة الجهاد، بالثورة الإسلامية الإيرانية بقيادة آية الله الخميني، ورأى أنها بداية تحول ثوري. وقد كتب الشقاقي وهو ما يزال طالباً في جامعة الزقازيق³⁹ بمصر كتابه "الخميني الحل الإسلامي والبديل"⁴⁰، وهو الكتاب الذي طبع عدة طبعات في فترة وجيزة، وقاد لاعتقال كاتبه وإيداعه سجن القلعة لأربعة شهور، ثم تم إجباره على العودة لمنزله برفح، حيث نشط في بث أفكاره ورؤاه السياسية وتنظيم الشباب الإسلاميين حوله.

لاقت آراء الشقاقي بالثورة الإيرانية ودفاعه القوي عنها، واعتباره أن الخلاف مع الشيعة غير ذي بال في خضم الصراع الذي يخوضه المسلمون ضد القوى الإمبريالية الغربية وضد "إسرائيل"، وتمجيده لموقف الثورة الإيرانية من هذا الصراع، ولتصديها للغرب، وخصوصاً أمريكا، ولـ"إسرائيل"، واعتبارها للأخيرة أنها سرطان يجب اجتثاثه، تحفظاً من قبل الإخوان الغزيين، وعلى الرغم من أن الإخوان

³⁶ زياد أبو عمرو، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ص 154.

³⁷ المرجع نفسه، ص 151.

³⁸ المرجع نفسه، ص 158.

³⁹ بعد أن تخرج الشقاقي من كلية الطب تقدم للدراسة في قسم التاريخ بكلية الآداب.

⁴⁰ فتحي الشقاقي، الخميني الحل الإسلامي والبديل (القاهرة: دار المختار الإسلامي، 1979).

في البداية وقفوا موقفاً إيجابياً من الثورة، إلا أنهم تحولوا عن ذلك بعد نشوب الحرب العراقية - الإيرانية سنة 1980.

وقد رأى الإخوان الغزيون أنّ الثورة "انبعثت من منطلقات إسلامية، إلا أنها أخذت تفقد بريقها عاماً بعد عام"، وأنها لم تقم دولة إسلامية نموذجية تركز على مؤسسات مستقرة، ولم تتجاوز البعد المذهبي، بل "يلمس الجميع أن الطابع المذهبي للدولة يتأكد يوماً بعد يوم من خلال إعلامها وممارساتها داخل إيران وخارجها"⁴¹. لقد أدى الاختلاف في الموقف من الثورة الإيرانية ومن الشيعة إلى اتهام الإخوان المسلمين لحركة الجهاد بأنها ذات ميول شيعية⁴².

2. المرحلة الثانية 1987-2005⁴³:

انطلقت حركة حماس في أواخر سنة 1987، وأخذت بسرعة دوراً كبيراً في انتفاضة الشعب الفلسطيني، وصارت المنافس الرئيسي لحركة فتح على الصعيد الشعبي والميداني المقاوم. ومع انطلاقه حماس انتفت معظم الانتقادات التي كانت توجهها حركة الجهاد للإخوان المسلمين، وتحولت حركة الجهاد إلى شقيقة صغيرة لحماس، تلتقي معها في التأصيل الفكري والجهادي والسياسي، وفي الطرح الاستراتيجي؛ وتختلفان في بعض الجوانب والمواقف الجزئية والتكتيكية.

حافظت كلا الحركتين على تميزهما في أثناء الانتفاضة المباركة 1987-1993، وكان لكل منهما برامج وفعالياته وإضراباته التي يختلف بها عن الآخر؛ ولكن لم تسع أي من الحركتين لتعطيل الأخرى. غير أن الأمر لم يخل من بعض المناكفات والاحتكاكات الميدانية في التنافس على النفوذ في المساجد مثلاً، أو في السعي لإثبات الذات. غير أن الطرفين استمررا في التأكيد على الوحدة الإسلامية، وعلى تشكيل جبهة مشتركة للتصدي للتنزلات السياسية التي تقوم بها قيادة منظمة التحرير.

شاركت الحركتان في تأسيس تحالف الفصائل العشر على هامش مؤتمر دعم الانتفاضة في طهران في 22-10/1991، الذي وقف ضد مشروع التسوية السلمية

⁴¹ زياد أبو عمرو، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ص 157.

⁴² المرجع نفسه، ص 155.

⁴³ قام محرر هذا الكتاب (محسن محمد صالح) بإضافة النص المتعلق ببنود المرحلة الثانية 1987-2005، وبنود المرحلة الثالثة 2005-2013، الذي لم يكن مكتوباً في النص الأصلي.



و ضد مؤتمر مدريد الذي عُقد في 1991/10/30. وعلى هامش مؤتمر دعم الانتفاضة التقى وفدا حماس والجهاد، حيث استؤنفت المباحثات بينهما. وحسب إبراهيم غوشة، الناطق الرسمي باسم حماس، فإن التوجه كان للوصول إلى الوحدة عبر ثلاث مراحل: الأولى التنسيق، والثانية إقامة جبهة، والثالثة الوحدة. وقال غوشة إن الشهيد فتحي الشقاقي أخبره بضرورة الوحدة بينهما. وأضاف غوشة أن علاقة حماس مع حركة الجهاد كانت وما زالت قوية "لأن ما يجمعنا مع حركة الجهاد عاملان أساسيان: العامل الأول: أننا على أرضية فكرية إسلامية واحدة؛ وثانياً: أن برامجنا السياسية متقاربة جداً"⁴⁴.

أبعدت "إسرائيل" 416 قيادياً إسلامياً من فلسطين إلى مرج الزهور بלבنا في 1992/12/17، معظمهم من حماس، وبينهم 16 عضواً في الجهاد الإسلامي. وقد كان هذا الإبعاد فرصة للاحتكاك والتعارف بين الطرفين، وتنسيق برامج الصمود والعودة إلى فلسطين.

واتفقت حماس والجهاد على مواجهة اتفاق أوسلو، وعلى مواصلة العمل العسكري المقاوم، ونشيطا ضمن تحالف الفصائل العشر. وتعرض كلا الفصيلين إلى ملاحقات الجهات الأمنية في السلطة الفلسطينية؛ وهو ضغط لم يخف إلا بعد اندلاع انتفاضة الأقصى سنة 2000. وقد قاطعت حماس والجهاد انتخابات السلطة الفلسطينية الرئاسية والتشريعية أوائل سنة 1996. كما تعاونت حماس والجهاد في تنفيذ عمليات استشهادية، كما في عملية بيت ليد في 1995/1/22، وعملية المركز التجاري في تل أبيب في 1996/3/5؛ حيث وفرت حماس الدعم اللوجستي، بينما قامت عناصر من الجهاد الإسلامي بالتنفيذ.

كانت انتفاضة الأقصى 2000-2005 نقطة تحول في أداء حماس والجهاد، حيث أبدعتا في العمل الجهادي المقاوم، بعد انكسار وتراجع القيود والملاحقات الأمنية التي فرضتها عليهما السلطة الفلسطينية. وظهر بين حماس والجهاد تنسيق ميداني مشترك، كما في الهجوم على معبر إيرز في قطاع غزة في 2003/6/8.

⁴⁴ إبراهيم غوشة، مرجع سابق، ص 188-189.

3. المرحلة الثالثة 2005-2013:

قاطعت حماس والجهد انتخابات الرئاسة الفلسطينية في 2005/1/9 والتي فاز فيها مرشح حركة فتح محمود عباس. وكانت حماس والجهد ضمن الفصائل الفلسطينية الموقعة على اتفاق القاهرة في 2005/3/17، الذي يهيئ الأجواء لدخولهما منظمة التحرير الفلسطينية، ولإعادة ترتيب البيت الفلسطيني. وقد شاركت الحركتان في الانتخابات البلدية في الضفة والقطاع؛ وتحالفتا في عدد من البلديات. وظهر للمراقبين الشعبية الواسعة لحماس والتنافس الشديد بينها وبين فتح؛ بينما كانت نتائج الجهاد الإسلامي وباقي الفصائل متواضعة قياساً إلى فتح وحماس.

قررت حماس المشاركة في انتخابات المجلس التشريعي التابع للسلطة الفلسطينية، بناء على اجتهادات مرتبطة بحماية برنامج المقاومة، والإصلاح، ومحاربة الفساد، وخدمة الجماهير، ومنع التنازلات السياسية. أما الجهاد الإسلامي فقررت مقاطعة الانتخابات لأنها تتم تحت سقف اتفاقية أوسلو، ووفق شروط أوسلو، حيث لا تملك قوى المقاومة فرض شروط اللعبة على السلطة في هكذا أجواء.

أعطى فوز حماس في الانتخابات في أوائل سنة 2006 قوة دفع كبيرة لها، وقوبل في الأوساط المؤيدة للمقاومة، بما فيها الجهاد الإسلامي، بارتياح كبير. وقدمت إيران (الحليف والداعم الرئيسي للجهاد الإسلامي) دعماً واسعاً ومضاعفاً لحماس وحكومتها، بعد أن تبين لها مدى شعبية حماس؛ هذا بالإضافة إلى انفتاح قوى إقليمية ودولية على حماس بشكل أكبر. وقد عرضت حماس على الجهاد المشاركة في الحكومة التي كلف إسماعيل هنية بتشكيلها، غير أن حركة الجهاد اعتذرت عن ذلك⁴⁵؛ وطالب القيادي في الجهاد خالد البطش حماس بالاعتذار عن تشكيل الحكومة، إذا لم تضم ائتلافاً وطنياً من جميع الأطراف الفلسطينية⁴⁶. وأكد البطش على التعاون مع حماس لأنها تتمسك بالثوابت الفلسطينية، ولأنها جزء أصيل من المقاومة⁴⁷. وأشار القيادي في الجهاد نافذ عزام إلى إمكانية التعاون مع الحكومة التي تفورها حماس في عدة ملفات

⁴⁵ الحياة، 2006/1/29.

⁴⁶ البيان، 2006/2/4.

⁴⁷ القدس العربي، 2006/2/10.

أبرزها الإصلاح الداخلي لتخفيف معاناة الناس، وتعزيز خيار المقاومة، وحماية حقوق الشعب الفلسطيني؛ كما يمكن مساعدتها في مواجهة الضغوط التي تتعرض لها⁴⁸.

ويبدو أن العلاقات بين حماس والجهاد تواصلت بشكل إيجابي، وأعطت العلاقات المتميزة بين زعيمي الحركتين خالد مشعل ورمضان عبد الله دفعا قويا للتفاهم، ولتجاوز بؤر الاحتكاك. وبعد أن شكّلت حماس حكومة الوحدة الوطنية برئاسة إسماعيل هنية في آذار/ مارس 2007، ظهرت أنباء أن التنسيق بين حماس والجهاد وصل إلى أشده، وأن حماس تلقت وعداً من الجهاد بالالتزام "قدر الإمكان" بالتهديئة مع "إسرائيل"، وذلك للمساعدة في ترتيب فك الحصار عن الشعب الفلسطيني وعن الحكومة. وأشار محمود الزهار إلى أن هناك لقاءات متواصلة بين حماس والجهاد، وقال "إنه في بداية العلاقات، كان هناك اختلاف في وجهات النظر حول رغبة حركة الجهاد القيام بالعمل المسلح عند نشأتها، بينما كان الإخوان المسلمون يرغبون بالتربية أولاً قبل العمل المسلح". وأضاف الزهار أنه "وبعد ولوج الجميع في العمل المسلح، فإن المساحات قد ضاقت": مشيراً إلى أن "الحركتين مشروع إسلامي، وهناك رؤية مشتركة تقودها الحركتان"⁴⁹. وقال الزهار إن "اندماج الحركتين في إطار تنظيمي واحد هدف مطروح، ولكنه يحتاج إلى ترتيبات مسبقة، وإجراءات وإنضاج على مستوى كبير"⁵⁰.

غير أن الجهاد الإسلامي عارضت الحسم العسكري الذي قامت به حماس في قطاع غزة في منتصف حزيران/ يونيو 2007، وحاولت الجهاد أن تلعب دور الوسيط. وقد أثار ذلك انزعاج حماس، التي توقعت أن تقف الجهاد إلى جانبها، أو أن تتفهم موقفها بشكل أفضل. كما لم تُخف حماس انزعاجها من انضمام العديد من أعضاء فتح وأنصارها إلى حركة الجهاد، باعتبارها مظلة توفر لهم الحماية وحرية العمل. ونظرت حماس إلى هؤلاء باعتبارهم عناصر توتير محتملة في قطاع غزة أو في حركة الجهاد، لدفعها باتجاهات أكثر تصلباً وحادّة تجاه حماس وحكومتها في القطاع. أما حركة الجهاد فتابعت من جهتها بذل مساعيها للوساطة وتقريب وجهات النظر⁵¹.

⁴⁸ الخليج، 2006/2/26.

⁴⁹ صحيفة الأخبار، بيروت، 2007/5/9.

⁵⁰ الخليج، 2007/5/9.

⁵¹ انظر مثلاً حول مساعي الوساطة: موقع إسلام أون لاين، 2007/6/22، في: <http://islamonline.net>؛ ووكالة فلسطين اليوم، 2007/7/10، انظر: <http://paltoday.ps/ar>؛ والدستور، 2007/9/19.

ولم تخلُ تلك الفترة من احتكاكات ميدانية فردية بين عناصر من حماس والجهاد⁵². ورأى خالد البطش أن الحسم الذي قامت به حماس "أدى إلى تجرؤ إسرائيل إلى حد الخطورة على قضيتنا الفلسطينية"، وطالب كلاً من فتح وحماس بالتراجع، وأن يتنازل كل منهما للآخر⁵³. ويظهر أن اللقاءات المشتركة بين حماس والجهاد لم تنقطع، فعقدت سلسلة اجتماعات في غزة هدفت إلى تنسيق المواقف بشكل أفضل، كما اتفقتا على تشكيل لجان ميدانية مشتركة في المناطق لعلاج أي خلاف قد ينشأ بين الطرفين⁵⁴. وقد تكررت الاحتكاكات والاشتباكات بين الحركتين في 2007/10/21، غير أن الحركتين اتفقتا على سحب فوري للمسلحين ووقف مظاهر التوتر، واتهمتا جهات مشبوهة بمحاولة تأجيج الفتنة بينهما⁵⁵.

وفي 2008/9/8 عقدت الحركتان اجتماعاً مطولاً، صدر عنه في اليوم التالي بيان أكد على العلاقة الاستراتيجية بين الحركتين، وعلى الثوابت التي تؤمن بها الحركتان، وأكد على الحوار الوطني الجاد سبيلاً وحيداً لمعالجة الانقسام السياسي الفلسطيني؛ وأعلنت الحركتان في البيان الاتفاق على تشكيل لجان مشتركة في الداخل، لمعالجة أي إشكاليات ميدانية قد تحدث⁵⁶.

ونسقت الحركتان موقفهما من لقاء الحوار الشامل للمصالحة الوطنية الذي كان من المفترض عقده في القاهرة في 2008/10/11-9؛ واعتذرتا عن عدم الحضور (مع فصيلين فلسطينيين آخرين) قبل المؤتمر بيوم واحد؛ لما رأوه من عدم جدية من طرف قيادة فتح؛ حيث لم يُطلق سراح السجناء السياسيين من سجون السلطة في الضفة الغربية، ولم يُسمح لوفد من حماس بالقدوم من الضفة؛ وأصر عباس على حضور جلسة الافتتاح فقط دون المشاركة في جلسات الحوار التالية⁵⁷. وقد استمر التنسيق والتناغم بين حماس والجهاد في السنوات التالية فيما يتعلق بالمصالحة والحوار الوطني وإصلاح م.ت.ف.

⁵² انظر مثلاً حول سوء تفاهم بشأن استهداف معبر صوفا، في: الأيام، 2007/7/24؛ وانظر حول اشتباك أدى لمقتل ثلاثة وجرح سبعة في غزة، في: الرأي، عمان، 2007/8/3.

⁵³ الأيام، 2007/8/6.

⁵⁴ انظر: الخليج، 2007/8/16، و2007/8/28؛ والقدس العربي، 2007/9/18.

⁵⁵ المركز الفلسطيني للإعلام، 2007/10/22؛ والخليج، 2007/10/24.

⁵⁶ المركز الفلسطيني للإعلام، 2008/9/9.

⁵⁷ انظر محسن محمد صالح (محرر)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2008 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009)، ص 38-39.



وعندما قامت "إسرائيل" بهجومها على قطاع غزة في الفترة 2008/12/27-2009/1/18 ووقفت الجهاد إلى جانب حماس في المقاومة، حيث قاما (مع باقي الفصائل الفلسطينية) بدور بطولي في مواجهة الهجوم الإسرائيلي. وقد دعا، إثر ذلك، المسؤول الأول في حركة الجهاد في غزة محمد الهندي إلى وحدة سريعة بين حماس والجهاد⁵⁸. غير أن حركة الجهاد أكدت في اليوم التالي على لسان نافذ عزام أنها تسعى من أجل وحدة العمل الإسلامي في فلسطين، من خلال تنسيق أفضل مع حماس أولاً، ثم مع باقي الفصائل؛ وأن "هذا التوجه لا يعني بأي حال من الأحوال اندماج الحركتين"⁵⁹. أما حماس فرأت حسبما عبّر القيادي فيها رأفت ناصيف أن النصر الذي حققته المقاومة في غزة "قلص الفارق في التباين والهوامش التي كانت تحول دون تشكيل قيادة موحدة أو عمل موحّد"⁶⁰.

استمر التأكيد على السعي للوحدة بين حماس والجهاد، غير أن تطوير التنسيق المشترك بدأ أمراً مريحاً للطرفين، اللذين لم يكونا مستعجلين على الاندماج. فمثلاً أكد القيادي في حماس إسماعيل رضوان على العلاقة بقوله "نحن نتفق في النظرة والأهداف الاستراتيجية... العلاقة وصلت ذروتها من خلال التنسيق الإيجابي على مستوى الأمناء العامين للفصيلين، وعلى مستوى الداخل والخارج"⁶¹؛ لكن رضوان استدرك قائلاً "لا نرى في وجود الحركتين بشكل منفصل أي إشكالية، في ظلّ التنسيق العالي بينهما لأن أهدافهما الاستراتيجية واحدة"⁶¹.

وعلى أيّ حال، فقد ظلت قيادات من الطرفين تدعو للوحدة أو التدرج العملي باتجاهها؛ فدعا مثلاً محمد الهندي لحوار استراتيجي بين حماس والجهاد "لبناء استراتيجية ورؤية للمرحلة القادمة"⁶². وفي أوائل سنة 2012 دعا إسماعيل هنية رئيس وزراء حكومة تسيير الأعمال في قطاع غزة إلى حوار معمق لتحقيق الاندماج التام بين حركتي حماس والجهاد. وقد رحب محمد الهندي بدعوة هنية قائلاً إن "وحدة

⁵⁸ الحياة، 2009/1/25.

⁵⁹ الشرق الأوسط، 2009/1/26.

⁶⁰ الشرق الأوسط، 2009/1/26.

⁶¹ فلسطين، 2009/7/5.

⁶² السبيل، 2010/10/20.

قوى المقاومة الفلسطينية واجب شرعي، وضرورة وطنية⁶³. وأشارت صحيفتا القدس العربي والسفير إلى انطلاق هذا الحوار بين الحركتين⁶⁴. وبالرغم من ذلك فقد كان هناك قيادات عديدة من الطرفين تدرك أن الأمر مازال بعيداً، وأنه كما عبّر نافع عزام "يجب بذل جهد كبير ووقت طويل من أجل الوصول إليها". أما طاهر النونو الناطق باسم الحكومة في غزة، فرأى أن هناك أربعة عوامل تساعد على الوحدة؛ أولها المنطلق الإسلامي الواحد، وثانيها المشروع الواحد وأهدافه الموحدة، وثالثها الأدوات المستخدمة الموحدة لتحقيق المشروع، ورابعها أن الخلافات بين الحركتين طابعها تكتيكي، وهي خلافات تنظيمية طبيعية⁶⁵.

وقد أكد الأمين العام لحركة الجهاد رمضان شلح أن حديث الوحدة هو حديث قديم جديد، وأن الرغبة في الوحدة موجودة لدى الطرفين من حيث المبدأ. أما شكل الوحدة وتوقيتها، فقال إنه مازال موضع بحث ونقاش بين الحركتين وداخل كل حركة⁶⁶. ومع أن محمد الهندي أشار في أواسط آذار/ مارس 2012 إلى أن محادثات الاندماج مستمرة وتسير بشكل إيجابي⁶⁷، إلا أنه حتى نهاية 2013 لم يحدث تطور ملموس يعكس الاتجاه العملي نحو الاندماج؛ بالرغم من التأكيدات المتواصلة من الطرفين على التنسيق المشترك والسير نحو الوحدة.

بالإضافة إلى التنسيق المشترك عسكرياً بين حماس والجهاد في مواجهة الهجمات الإسرائيلية على قطاع غزة؛ فقد كان يتم تنفيذ عمليات فدائية مشتركة كما في العملية التي أدت إلى مقتل حارسين إسرائيليين في المنطقة الصناعية غربي طولكرم في الضفة الغربية في 2008/4/25. كما أن الشاباك أعلن عن اعتقال أعضاء الخلية التي نفذت عملية تفجير في تلّ أبيب في 2012/11/21 أدت إلى إصابة 29 إسرائيلياً، وأنهم ينتمون إلى حركتي حماس والجهاد⁶⁸.

⁶³ الغد، 2012/1/18.

⁶⁴ القدس العربي، والسفير، 2012/1/18؛ وانظر: القدس، 2012/1/20.

⁶⁵ الحياة، 2012/1/20؛ وانظر: تصريح إسماعيل رضوان لوكالة معاً في 2012/1/20.

⁶⁶ فلسطين أون لاين، 2012/3/4.

⁶⁷ فلسطين أون لاين، 2012/3/18.

⁶⁸ وكالة الصحافة الفلسطينية (صفا)، 2012/11/23.



وبينما كان الحوار والتنسيق عالياً ومستمراً بين الحركتين، إلا أن الاحتكاكات الميدانية كانت تطل برأسها بين الحين والآخر، وإن كان يتم علاجها بسرعة. ويظهر أن منطق الحكومة "الدولة" الذي تمثله حماس في القطاع، ومنطق الحركة الذي تعيشه الجهاد في القطاع قد أدى إلى بعض التعارض في الأولويات وفي أساليب الأداء والعمل. فعندما تلتزم حماس بالتهديئة (كما حصل بعد حرب الفرقان 2009) كانت ترى في اختراق التهديئة من الفصائل، ودون تنسيق مسبق معها، إضراراً بالتزاماتها السياسية، وتعطيلاً لسعيها في فك الحصار عن قطاع غزة؛ بينما كانت حركة الجهاد ترى ضرورة الرد المباشر على الاعتداءات والخروقات الإسرائيلية. وقد تكرر حدوث احتكاكات بين الطرفين لهذا السبب⁶⁹.

وقد كان التنافس على كسب الأنصار من خلال السيطرة على المساجد أحد مجالات الاحتكاك بين حماس والجهاد. فقد اتهمت مصادر في الجهاد حركة حماس بأنها تستغل سلطتها ونفوذها لمد سيطرتها على مساجد تديرها حركة الجهاد؛ وقالت إن عدد المساجد التي تديرها الجهاد يصل إلى نحو سبعين مسجداً، سيطرت حماس على 11 مسجداً منها، في الوقت الذي تدير فيه حماس مئات المساجد⁷⁰. أما طالب أبو شعر وزير الأوقاف في حكومة غزة، فقال إنه لم تحدث خلافات أو صدامات مسلحة "في إطار الحرب على المساجد"؛ وأكد أن المساجد هي منابر للوحدة الوطنية، وحذر من الفتنة. وأضاف "ورثنا وضعاً قائماً معقداً منذ سنوات طويلة في المساجد، وجدنا فيه وجوداً لجهات مختلفة، ولم نرفع إماماً أو موظفاً، ولم نمنع أحداً من الخطبة"⁷¹.

من جهة أخرى، عزا القيادي في حماس صلاح البردويل الإشكاليات الميدانية بين الطرفين إلى عدم التزام بعض عناصر الجهاد بأوامر قيادتها السياسية؛ حيث إن العلاقة بين القيادتين السياسيتين مُميّزة. وقال البردويل إنه بعد الحسم العسكري في القطاع انضمت عناصر من الأجهزة الأمنية السابقة والمنفلتين من حركة فتح إلى المجموعات العسكرية للجهاد، "لتوفر لهم غطاء للهجوم على حماس، ويستغلون كل فرصة لإشعال الفتنة بين الطرفين". وأشار البردويل إلى تجاوزات محسوبة على حركة الجهاد

⁶⁹ انظر مثلاً: الشرق الأوسط، 2009/3/10؛ والقدس العربي، 2009/3/27؛ وصحيفة الأهرام، القاهرة، 2009/4/22؛ والحياة، 2009/10/11؛ والغد، 2010/8/27؛ والحياة، 2013/6/25.

⁷⁰ الحياة، 2009/7/11.

⁷¹ الحياة، 2009/7/11.

كإطلاق النار في الأفراح، واختطاف مواطنين والتحقيق معهم. وقال إن حماس حريصة على علاج هذه الإشكاليات بالتنسيق والتفاهم مع قيادة الجهاد⁷². وقد أكد البردويل في وقت لاحق أن علاقة حماس بالجهاد متينة في جميع الملفات، وتحكمها ضوابط "أخوية حميمة ووطنية شريفة"، وأن الحركتين تتمتعان "بانسجام كامل"، وأن التنسيق بينهما "قوي ودقيق وتحكمه أخلاق المجاهد"⁷³.

أحدثت الثورات والتغيرات في العالم العربي اهتزازات واسعة انعكست صعوداً وهبوطاً وانتصارات وتراجعات على التيار الإسلامي الفلسطيني (مما لا مجال لمناقشته هنا) غير أن تراجع علاقات حماس بإيران وسورية وحزب الله؛ جعل بعض المتابعين من حماس ينظرون بحذر إلى تقارير عن زيادة الدعم الإيراني العسكري واللوجستي لحركة الجهاد، مع تساؤله بشكل كبير عن حماس؛ مما قد يفهم منه سعيًا من الطرف الإيراني لتقوية الجهاد على حساب حماس⁷⁴.

وبشكل عام، يظل ما يجمع حركتي حماس والجهاد أكبر بكثير مما يفترقهما، وتظل مساحة التنافس بينهما في إطار المقاومة ومشروع التحرير، والتسابق في مجالات التضحية والعمل الوطني. وبالتالي يظل تطوير التعاون والسير باتجاه الوحدة بينهما، هو الأقرب لمنطق حركة الأحداث المستقبلية، والله أعلم.

خاتمة:

ما زال التيار الإسلامي الوسطي المعتدل يمثل التيار الأكثر قوة وانتشاراً في الساحة الفلسطينية في الداخل والخارج. وهو يُعبر عن نفسه بشكل أساسي من خلال مدرسة الإخوان المسلمين، وتحديداً حركة حماس. غير أن التيار السلفي له حضور لا يستهان به، كما أن حركة الجهاد الإسلامي تمثل إحدى أقوى حركات المقاومة الفلسطينية. فضلاً عن الحضور التاريخي والمستمر لحزب التحرير الإسلامي. أما الجماعات المتشددة

⁷² الجزيرة.نت، 2010/9/15.

⁷³ فلسطين أون لاين، 2013/6/20.

⁷⁴ انظر أيضاً حول رؤية مصادر إسرائيلية للموضوع، في: القدس، 2013/6/27.



القريبة من فكر القاعدة، أو تلك التي تُعرف بالسلفية الجهادية، أو تلك التي تتساهل في التكفير... فإنها ما زالت قليلة الحضور والتأثير في الساحة الفلسطينية.

بنت حماس قاعدة تعاملها مع الاتجاهات الإسلامية في الساحة على قاعدة "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه"؛ وتجنبنا ما استطاعت الدخول معها في صراعات وصدامات واتهامات. كما سعت إلى توحيد الرؤى والأفكار والتنسيق في مجالات العمل المختلفة.

استفادت حماس من تعريف الإخوان لأنفسهم بأنهم "دعوة سلفية"، في تكريس ما هو مشترك مع التيار السلفي؛ كما أن الخلفية الإخوانية لمؤسسي حركة الجهاد الإسلامي، وتشابه المنطلقات الفكرية والاستراتيجية ووسائل العمل، خصوصاً بعد انطلاقة حماس، قد خدم بشكل كبير باتجاه تقوية العلاقات بين حماس والجهاد، وتطلع الطرفين إلى الوحدة المستقبلية الاندماجية بينهما.

إن الحالة الفلسطينية والمنطقة العربية تموج بالتغيرات والثورات؛ وعلى حماس أن تحسن التعامل مع الحالة الإسلامية الفلسطينية وتعقيديتها، وأن تحسن استيعابها أو التحالف معها بما يخدم القضايا الاستراتيجية المشتركة ومشروع تحرير فلسطين؛ وإلا فإن أي ارتدادات معاكسة للحالة الإسلامية الفلسطينية قد تترد بشكل سلبي على حماس ومشروعها الإسلامي؛ بل وعلى المشروع الإسلامي لفلسطين بشكل عام.

Islamic Resistance Movement

Hamas

Studies of
Thought &
Experience

هذا الكتاب

تُمثّل حركة المقاومة الإسلامية حماس أحد أبرز حركات المقاومة الفلسطينية. وهي حركة تحظى بشعبية واسعة في الوسط الفلسطيني، وتتبنى الإسلام عقيدة وسلوكاً ومنهجاً، وتنتمي إلى مدرسة الإخوان المسلمين.

شارك في إعداد هذا الكتاب 17 من الأساتذة والباحثين المتخصصين وقيادات من حركة حماس، وهو يستعرض النشأة التاريخية لحركة حماس وتطورها، والرؤية السياسية لها، ونظرتها للعدو الصهيوني، وموقفها من مشاريع التسوية السلمية، ومن القضايا الفلسطينية، ورؤيتها لعملية الإصلاح السياسي والاجتماعي؛ كما يناقش دوائر علاقات حماس العربية والإسلامية والدولية، وغيرها من القضايا المهمة.

ويعدّ هذا الكتاب أحد أبرز المراجع المتخصصة في فكر حركة حماس وتجربتها، ولا غنى عنه لكل المعنيين بدراسة هذه الحركة؛ فهو يلتزم بمناهج البحث العلمي وكل ما يتطلبه ذلك من دقة وموضوعية وتوثيق؛ كما يضيف جديداً من خلال إسهامات من قيادات حماس نفسها.

د. محسن محمد صالح



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص ب: 14-5034 بيروت - لبنان
تلفون: +961 1 803 644 | تليفاكس: +961 1 803 643
info@alzeytouna.net | www.alzeytouna.net



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

